على ان كل لفظ وضع بازاء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فانه اسم وعلم هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته
على اللفظ الذي يصدق عليه حد الاسم او الفعل او الحرف لانه يصح ان يقول ومن حرف فيتحصل كل واحد
من حرج ومن محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه فيلتئم قول من يجوز ان ينزل العلم
منزلة اللازم مبالغة في تحصيل المستعجلين على معنى لو كانوا من اهل العلم لما استعجلوا لما استعجلوا
لكنهم استعجلوا لفرط جهلهم وعظم الجهل مستفاد من تنزيل العلم منزلة اللازم فانه يدل على انهم لا يعلمون
شيئا فعلى هذا الوجه يكون حين منصوبا بفعل مضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون الذي هم
كانوا مبطلين في استعجالهم وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم فيكون هذه الجملة كلاما مستانفا فانه لما نفى
عنهم العلم راسا بان يقال لو يعلم الذين كفروا التوجيه لا يقال متى يعلمون ويزول عنهم هذا الجهل فاجيب
بقوله حين لا يكفون فكان العامل في حين ما يدل عليه قول السائل متى يعلمون قوله بل تاتيهم الفترة على
ان يكون ضمير المؤنث في تاتيهم للوعد لكونه في معنى الفترة او للنار او للحين لانه في معنى الساعة وانتصاب
بغتة اما على المصدرية لان البغت نوع من الاتيان او على الحالية من فاعل تاتيهم اي باغتة اي فجاءة
ولقيته بغتة اي فجاة وكلمته مشافهة اي مجاهرة قوله فتبهتهم اضراب انتقالي وحكى الله عنهم انهم
يستعجلون العذاب الموعود ويقولون متى هذا الوعد ويبين سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول
وقت وقوعه وما فيه من العذاب الشديد ثم اضرب وانتقل من بيان السبب الى بيان كيفية وقوعه الموعود
بل تاتيهم بغتة ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء وكان يتاذى ويتحرج من استهزائهم ثم
نزل قوله تعالى ولقد استهزئ الاية تسلية له عليه السلام وقوله اولا لو يعلم الذين كفروا الاية لا يخلو
ايضا عن التسلية ورفع الحزن عن قلبه المنير فان بيان حال اصحاب هذا الاستهزاء من العذاب الشديد
يفيد تسلية المهزو به وان الله تعالى ناصره لا محالة قوله ما كانوا به يستهزؤن اي جزاء ما كانوا فلانة قيل
سيصيبهم جزاء استهزائهم كما اصاب جزاء استهزاء من قبلهم بانبيائهم فلا تبال باستهزائهم وكن متسليا
فارغ البال ثم انه تعالى لما بين استحقاقهم بما اصاب الاولين وانه سيصيبهم لا محالة مثل ما اصاب
الاولين بين ان عدم اصابة ذلك اياهم عاجلا انما هو بحفظه وكلاءته امهلهم مدة بمقتضى رحمته
العامة ومشيته وحكمته الباهرة امره عليه السلام ان يبين لهم عن الخاتمة ليقره او تنبيها انهم في قبضة
قدرة الله مسخرون لحكمه ومشيته ليتزجروا عن الاستهزاء والتكذيب ويتمسكوا بحبل الطاعة والتصديق
ثم اضرب عن ذلك الامر بقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي دعهم عن هذا السؤال لانه لا يصلحون
له لاعراضهم عن ذكر الله فلا يخطرون ببالهم حتى يجيبوا بانه نعم اذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا انه
الحافظ هو الله وحده ومسلحوا السؤال عنه ثم اضرب عن التسجيل بانهم لا يصلحون للسؤال الى هو اعم
وهو الانكار عليهم زعموا ان لهم الهة اخرى ينصرهم ويمنعهم مما استحقوه من العذاب منعا يتجاوز
منعنا وحفظنا على ان قوله من دوننا صفة مصدر محذوف والذي اضيف اليه دون ايضا محذوف
وتقدير الكلام يمنعهم منعا كائنا من دوننا منعنا ويحتمل اي من غير منعنا ويحتمل ان يكون من دوننا بمعنى

بمعنى من عندنا فيكون صفة لمحذوف سيتعلق بقوله يمنعهم والتقدير يمنعهم من عذاب يكون من عندنا كائنة قيل منعهم
عن هذا السؤال الا لغفلتهم واعراضهم عن ذكر ربهم بل لاعتقادهم ان لهم الهة يستقل في حفظهم وانظر الى من
اعرضوا عن ذكر ربهم اليه فان هذا اعزب واعجب لان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه من الله كيف ينصر
غيره قوله عما توهموه من ان ما هم فيه من الكلاءة من جهة ان لهم الهة تمنعهم من تعرض الناس اليهم فقال
بل منعنا هؤلاء واباءهم الاية كلمة قيل دع ما زعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ما هم فيه
من الحفظ انما هو منا لا من غيرنا حفظناهم من البلايا من الباساء ومتعناهم بانواع النعم لكونهم من اهل الاستدراج
والانهماك فيما يؤديهم الى العذاب والعقاب ويحتمل ان يكون اضرابا عن الاستيناف السابق كانه قيل دع
ما يبين بطلان ما اعتقدوه من ان يكون لهم الهة يمنعهم واعلم انهم انما وقعوا في ورطة ذلك التوجه الباطل
بسبب انه تعالى متعهم بما يشتهون فحسبوا ان ذلك يدوم عليهم فاغتروا واعرضوا عن التامل في قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله واتبعوا ما سولت لهم انفسهم من الاوهام الباطلة لقساوة قلوبهم و
خباثة طباعهم والافقد اتضح الحق من الباطل وبين الرشد من الغي فلم يبق الا ان ينتقم منهم على سبيل التدريج
بان تعاجلهم بحالة الدنيا ثم نضطرهم الى العذاب النار في العقبى وان رابهذا المعنى فقوله تعالى افلم يروا
اي اغفلوا وعموا فلا يرون كيف ننقص ارض الكفر من جوانبها وبفتح البلاد والقهر من
حوالي المكة ومن حولنا في ملك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وننقص ما فيها من المشركين واحدا بعد واحد
بتسليط المسلمين عليهم واظهارهم على اهلها بحيث لا يقدرون على دفعهم من الفسهم وديارهم افهم
الغالبون ام هم مغلوبون فالفاء في افلا يرون لعطف الجملة على المقدر والى انهم لعطفها على الملفوظ
والعبارة القصيرة في تادية هذا المعنى ان يقال افلا يرون ان عساكر الموحدين المطيعين ياتون
ارض المشركين وينقصونها من اطرافها الا انه تعالى اسند فعل المسلمين الى ذاته تنبيها على ان المحارب
والمنتقم والمخرب هو الله حقيقة وان اظهر ذلك بتسليط المسلمين ويمكنهم على التخريب فالذي يدل عليه نظم
التنزيل تصور الامر على ما هو عليه في نفس الامر تمثيلا له تعالى بالغ في تهديد الكفرة المستهزئين المستعجلين
وانذارهم بانواع العذاب قرر ذلك واكد بقوله قل انما انذركم بما اوحي الى القرآن قوله وقرا ابن
عامر لا تسمع بضم تاء المخاطب وكسر الميم ونصب الصم الدعاء على انها المفعولان وقرا الحسن كقراءة
ابن عامر الا انه بضم ياء الغيبة على ان فيه ضميره عليه السلام وقرا باقي السبعة بفتح ياء الغيبة ورفع الصم
ونصب الدعاء قوله للدلالة على نقصانهم وجه الدلالة ان تعريف الصم لما كان للعهد وكانهم هؤلاء
المنذرون وهم ليسوا الصم حقيقة فلما سموا بالصم حقيقة علم انهم بمنزلة الصم لنقصانهم وعدم انتفاعهم
بما يسمعون ثم انه تعالى بين ان حالهم ستصير الى ان يصيروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به
فعند ذلك يسمعون ويعتذرون ويعترفون على انفسهم بالظلم بسبب شركهم وتكذيبهم الرسول حين
لا ينتفعون به فقال ولئن مستهم نفحة اي دفعة ما انذروا به كمس ريح من النفح بدون مس جسم واصل
النفح من الريح اللينة منها يقال نفحت الريح اي هبت هبوبا لينا ونفحة بنائل اي شيء يسير من العطاء

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)